والأسماء الواردة في التراكيب الأساسية في اللغة العربية التي قام بتحليلها، وإنما اكتفى الدارس بتقديم بعض الأمثلة))[1].

رابعا: الاتجاه الوظيفي:

أولا: اللسانيات الوظيفية، الأصول:

يميِّز مؤرِّخو الدرس اللساني داخل النظريات اللغوية المعاصرة بين قطبين رئيسين في البحث اللساني هما:

الأول: القطب الشكليّ، وهو الذي يقدِّم في تحليلاته اللغوية البنيةَ على الوظيفة، ويقف في مقاربته عند حدوده بنية اللغة (الصوتية، والصرفية والتركيبية) لا يكاد يتعداها، وهو ما لاحظناه في مدرسة بلومفيلد التوزيعية، ومدرسة تشومسكي التوليدية[2]، فهاتان المدرستان نظرتا إلى اللغة بوصفها أنساقاً مجردة.

الثاني: القطب الوظيفيّ، ويشدِّد هذا القطب على وظيفة الأشكال اللغوية، التي تكون شرطاً أساسياً في فهم الظاهرة اللغوية، فيكون وصف اللغات قائماً على أساس ربطها بما تؤدِّيه من وظائف داخل المجتمعات البشرية، انطلاقاً من تبعية البنية إلى الوظيفة، ويدخل في إطار هذا التوجّه عددٌ من المدارس اللسانية، منها مدرسة براغ، ومدرسة لندن وغيرهما[3].

وتعدُّ الوظيفيةُ الاتجاه اللساني الثالث بعد الوصفية والتوليدية، وهي نظريةٌ لغويةٌ تركِّز على وظائف الوحدات اللسانية لا على أشكالها، مستندة إلى البعد التداولي للغة، وقد سادت حقل الدراسات اللغوية لغرض سدّ الثغرات التي لم ينتبه إليها الوصفيون والتوليديون، وتتمثَّل هذه الثغرات في أنَّ اللسانيات الوصفية والتوليدية تتخلّف إذا تجاوز الباحثُ حدودَ المادة اللغوية إلى

---

(1) اللسانيات العربية الحديثة ٢٢٠، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٢٨١.

(2) ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٠-١١، وأسئلة اللغة أسئلة اللسانيات ٣٣.

(3) ينظر: اللسانيات والبيداغوجيا، نموذج النحو الوظيفي ٤٩، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ١٥-١٦.

العناصر الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، مثل موقف المتكلِّم وحال المخاطَب، وغيرهما من الأمور الحافّة بالخطاب[١].

وتوجد ضمن الاتجاه الوظيفيّ العامّ مدارسُ متعددة، تختلف من حيث نوعية التحليل والتركيز على التفاصيل المتعلِّقة بالظاهرة اللغوية، لكن وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فضلا عن التباعد الزماني والثقافي بين هذه المدارس الا انه يجمعها تصورٌ واحدٌ تجاه طبيعة اللغة قوامه: أنَّ اللغة وسيلة اتصال اجتماعية، يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة[٢].

وترتكز أُصول الوظيفية على جملة من الأعمال التي أسهم في بلورتها كلٌّ من مدرسة براغ ومدرسة لندن، وأعمال اللسانيين التشيكيين المعروفة بالوجهة الوظيفية للجملة[٣]، فقد أعطت مدرسة براغ منذ نشأتها عام ١٩٢٦م زخماً ملحوظاً لمفهوم التواصل، بوصفه وظيفةً أساسيةً في النشاط اللغوي عند الإنسان، ذلك أنَّ((وصف لسان معين في نظر لغويي براك يعني بالدرجة الأولى الكشف عن العوامل الأساس التي يلجأ إليها المتكلِّم لتحقيق التواصل اللغوي))[٤]، وكان ظهور هذه المدرسة مرتبطاً بجيل من اللسانيين الروس المهاجرين، وهم كلٌّ من رومان ياكبسون وكارسيفسكي وتروبتسكوي[٥].

لقد اهتمَّ الوظيفيون- أول الأمر – بدراسة الأصوات وأولوها عناية فائقة، فقد تصوَّروا اللغة نسقاً يشتمل على أنظمة فرعية متعددة، لذلك يجب أن تنقسم دراستها على علوم فرعية، فدراسة الصوت مثلاً ترتبط بجانب الدوال اللغوية بوصفه فرعاً مستقلاً عن دراسة المدلولات، ولمَّا كان الدال في النظام اللغوي شيئاً مختلفاً عن الدال في الفعل الكلامي أصبح لزاماً على الباحث التمييز بين دراستين، تتجه إحداهما إلى دراسة النظام اللغوي وتتجه الأخرى إلى دراسة الأحداث الكلامية، من هنا ظهر التمييز بين دراسة الصوت التي تختص باللغة بوصفها نظاماً، ودراسة الصوت في الفعل الكلامي، وأطلقوا على الأولى مصطلح Phonatics، وعلى الثانية

---

(١) ينظر: نظرية النحو العربي ٨٢، ومناهج الدرس النحوي في العالم العربي ٣٠٠-٣٠١.

(٢) ينظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٣ (بحث).

(٣) ينظر: مدخل إلى اللسانيات ٧١.

(٤) اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٢.

(٥) ينظر: اتجاهات البحث اللساني ٢٤٧، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٣.

الاختلاف تؤمن بمشروعية الوظيفة، فضلاً عن أنَّها تقول بتأثير المستعملين وسياق الاستعمال في نسق اللغة[١].

ثانياً: اللسانيات الوظيفية، المبادئ المنهجية العامة:

ترتكز المقاربة الوظيفية، شأنها في ذلك شأن جميع النظريات اللسانية على أُسس معينة ومبادئ عامة تشكِّل النواة النظرية الصلبة لتوجُّهها اللساني، ويمكن تلخيص المبادئ المنهجية الأساسية للنحو الوظيفي فيما يأتي[٢]:

١. أداتية اللغة، يُنظر إلى اللغة في المقاربة الشكلية على أنَّها أنساقٌ مجرَّدة، يمكن أن تُدرس خصائصها في ذاتها بمعزل عما يمكن أن تستعمل من أجله، في حين ينظر النحو الوظيفي والمقاربة الوظيفية بصورة عامة إلى اللغة على أنَّها أداة تسخَّر لتحقيق التواصل داخل المجتمعات البشرية، وينظر إلى الجملة على أنَّها وسيلةٌ تُستعمل لتأدية أغراض تواصلية، وتُدرس خصائصها البنيوية على هذا الأساس.

٢. وظيفة اللغة، تؤدِّي اللغة في نظر الوظيفيين وظائف متعددة لا وظيفة واحدة، كما ذهب إلى ذلك تشومسكي الذي رأى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الفكر[٣]، فرومان ياكبسون من خلال مخططه يحصر وظائف اللغة في ست بعد أن جعل العملية الاتصالية متكوِّنة من ستة عناصر، ووضع بإزاء كل عنصر من عناصر الاتصال وظيفة لغوية، ووظائف اللغة عند ياكبسون هي:

١. الوظيفة التعبيرية، وترتبط هذه الوظيفة بالمرسِل/المتكلِّم، وتعبِّر بصفة مباشرة عن موقفه تجاه ما يتحدث عنه.

---

(١) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي القديم ٤٩، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٩٧، ومن البنية الحملية إلى البنية المكونية، الوظيفة المفعول في اللغة العربية٥.

(٢) ينظر في كل هذه المبادئ: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ودراسات في نظرية النحو الوظيفي، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٧٢.

(٣) ينظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ٤٩.

٢. الوظيفة المرجعية أوالإحالية، وهي الوظيفة المتجهة نحو السياق، التي تحدد العلاقات بين الرسالة والشيء الذي تُحيل عليه.

٣. الوظيفة التأثيرية أو الإفهامية، وتتجه نحو المرسَل إليه، وتوجد في الجمل التي ينادي فيها المرسلُ المرسلَ إليه لإثارة انتباهه، أو الطلب منه القيام بعمل، وبوساطتها يأخذ النص قيمته التداولية.

٤. الوظيفة الميتالغوية، وتظهر هذه الوظيفة في الكتابات التي تكون اللغة مادة دراستها، أي التي تقوم بوصف اللغة، وذكر عناصرها وبيان مفرداتها، وتتجلى هذه الوظيفة في اللغة الواصفة كلغة النحاة العرب مثلاً.

٥. الوظيفة الانتباهية أو اللغوية (بفتح اللام)، وتهدف إلى إقامة التواصل وتمديده أو فسخه، وتوظَف للتأكد مما إذا كانت دورة الكلام تشتغل(ألو، تسمعني).

٦. الوظيفة الشعرية، وهي التي تتصل بالنص نفسه بوصفه رسالة، فاللغة تقوم بوظيفة شعرية أو جمالية في حال انتاج خطاب ذي دلالات داخلية، أي خطاب دال داخل نفسه[١].

غير أن تصنيف ياكبسون تعرَّض إلى انتقادات من لدن الباحثين؛ لأنه تعامل مع عملية الاتصال اللغوي وكأنَّها شيء قارٌ ثابت، على الرغم من أنَّ للتواصل حركية مستمرة تحمل بنيةُ اللغة آثارَها الواضحة ((إنَّ الجملة ليست كلمات فحسب، إنَّها فعل لغوي وموقف إزاء واقع معين، إنَّ الجملة تنقل تجارب الآخرين وتتموضع هذه التجارب في عملية التواصل بالقياس إلى التجارب الأخرى المعروفة لدى السامع أو التي يمكن إدراكها في إطار العلاقة التي تربط بين المتكلم والسامع))[٢]. ومن الجدير بالتنويه هنا أنَّ ياكبسون أكمل في عمله هذا ماقدَّمه بوهلر في كتابه "نظرية اللغة"، الذي حلَّل فيه وظائف اللغة، وأرجعها الى ثلاث وظائف تختلف باختلاف مايتعلَّق بها، فالرمز اللغوي يؤدّي إحدى الوظائف الآتية: وظيفة تعبيرية تخصُّ المتكلِّم، ووظيفة استدعائية تخصُّ السامع، ووظيفة توضيحية تخصُّ الشيء المعبَّر عنه.

---

(١) ينظر: دلالة السياق ٥٤٨-٥٥٠، واللسانيات والبيداغوجيا ١٨١، والألسنية علم اللغة الحديث قراءات تمهيدية ٨٥.

(٢) اللسانيات العربية الحديثة ٢٥٣، وينظر: اللسانيات في الثقافة العربية ٣٤٣.

وأرجع هاليداي مختلف وظائف اللغة إلى ثلاث وظائف مترابطة، هي الوظيفة التمثيلية أوالفكرية أوالتصورية التي تعبّر عن تجربة المتكلّم استناداً إلى الواقع، والوظيفة التعالقية أو التبادلية المعبّرة عن الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلّم بالنسبة إلى المخاطَب، كدور المخبر والسائل من جهة، والتعبير عن موقفه من فحوى خطابه كأن يكون متيقناً أو شاكاً من جهة أخرى، والوظيفة النصية التي تربط الخطاب بالطبقة المقامية التي ينجز فيها[1].

ويرى الباحث أحمد المتوكل أنّه مهما تعدّدت وظائف اللغة وأغراضها فإنّها آويةٌ إلى وظيفة مركزية واحدة هي تحقيق التواصل بين الأفراد[2]، وفي هذا المعنى يقول جورج مونان: ((ومهما يكن واقع بعض هذه الوظائف المختلفة على الأقل، ألسنيا كان ذلك أو نفسياً، فإنّ الجميع متفقون على هذه النقطة، الوظيفة الإبلاغية هي الوظيفة الأولى الأصلية الأساسية بالنسبة إلى الكلام، وما بقية الوظائف إلا مظاهر أو وضعيات غير ضرورية))[3].

٣. اللغة والاستعمال: يرتبط نسق اللغة ارتباطاً وثيقاً باستعمالها، ويُراد بنسق الاستعمال مجموعة الأعراف والقواعد التي تحكم التعامل داخل مجتمع معين، ويتعالق هذان النسقان بحيث يحدُّد نسق الاستعمال بنية اللغة، ومن أيسر الأدلة على ذلك ((اختلاف خصائص العبارات اللغوية باختلاف الوسائط الاجتماعية، كجنس المخاطَب وسنه وطبقته المجتمعية والمنطقة الجغرافية التي ينتمي إليها))[4].

٤. القدرة اللغوية، يميّز الدارسون في اللسانيات التوليدية بين ما يشكّل معرفة المتكلم/السامع للغته وما يشكّل التحقُّق الفعلي لهذه المعرفة اللغوية، وقد ركّز التوليديون في دراستهم على الجانب الأول، الذي أسموه القدرة، تاركين الجانب الثاني الذي أسموه الإنجاز، أي إنّهم أهملوا الجوانب الوظيفية أو التداولية في أبحاثهم، غير أنّ تشومسكي قسّم في مراحل لاحقة من نظريته القدرة على قسمين: قدرة لغوية وقدرة تداولية، لكنّه جعل القدرة الثانية مفصولة عن الأولى،

---

(١) ينظر: التركيبات الوظيفية ٢٥، واللسانيات الوظيفية: مدخل نظري ٤٨.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي ٢١.

(٣) مفاتيح الألسنية ٧٠، وينظر: دلالة السياق ٥٥٩.

(٤) اللسانيات العربية الحديثة ٢١.

على أساس أنَّ القدرة الأولى وحدها يمكن أن تُتخذ موضوعاً للدرس[1]، أما اللسانيات الوظيفية التوليدية تقول بثنائية القدرة والإنجاز، لكنَّها تعطي للقدرة تفسيرا يباين تفسير المجردة للغته، أي قدرته اللغوية، وليست مجرد ظواهر إنجازية، بهذا المعنى تتضمن القدرة اللغوية بالإضافة إلى القواعد المرتبطة بالخصائص الصورية (القواعد الصوتية- الصرفية والتركيبية والدلالية) القواعد التداولية... فالقدرة اللغوية عند الوظيفيين إذن قدرة وظيفية- صورية، تشكِّل معرفة المتكلم- السامع للقواعد التي تؤهّله لاستعمال اللغة وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية معينة))[2]، أي إنَّ القدرة في المقاربة الوظيفية هي قدرةٌ تواصلية تضمُّ فضلاً عن معرفة النسق اللغوي معارفَ أخرى يوفِّرها السياق الذي يحيط بالحدث اللغوي. ومفهوم القدرة التواصلية سبق أن اقترحه هايمز سنة ١٩٧١م في معرض نقده لفكرة تشومسكي بشأن القدرة اللغوية؛ لكونها -بحسب رأيه- قاصرة وضيِّقة، ولاتناسب الطبيعة الاجتماعية للغة، ومن ثم فإنَّ أيَّ حديث عن قدرة المرء على اللغة يجب أن يُربط باستعمال اللغة في بيئة حضارية وثقافية محددة؛ لأنَّ اللغة بها حاجة الى معالجة الكفاءة التواصلية[3]، في حين استعمل راي جاكندوف مصطلح المعرفة الوظيفية مقابلا للقدرة التواصلية.

تلكم هي الخطوط العامة والمبادئ الرئيسة التي سارت عليها اللسانيات الوظيفية بصورة عامة والنحو الوظيفي بشكل خاص، وهي مبادئ توضِّح الفروق المنهجية بينها وبين غيرها من النظريات اللسانية التي سبق أن وقفنا على خصائصها.

---

(١) ينظر: المنحى الوظيفي ٢٧، واللسانيات الوظيفية، مدخل نظري ٧٤-٧٥.

(٢) اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري ٧٦، وينظر: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات ٤٨، والمنحى الوظيفي ٢٧.

(٣) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ٢١، والاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة ٩٣.